كلاسيكيات مُبسطة

أوليفر تويست



تشارلز ديكنز

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي

كلاسيكيات مُبسطة

أوليفر تويست



تشارلز ديكنز

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

حقوق الطبع والنشر

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونُخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

تشارلز ديكنز

أوليفر تويست



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

في الملجأ

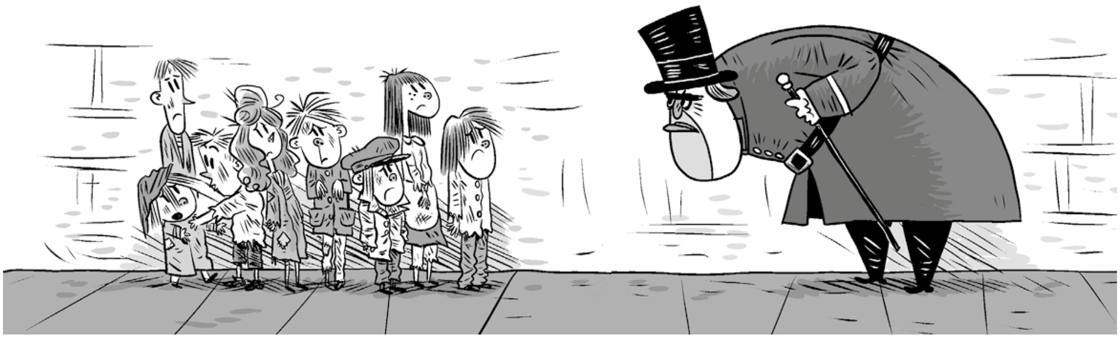
أوليفر تويست طفل يتيم، توفيت والدته يوم ولادته، ولا أحد يعلم مَن هو والده، وقد حصل على لقبه «تويست» على يد مُربيه في الملجأ، السيد بامبل، والذي كان أشبه برجل الشرطة في الملجأ، فكان مسئولًا عن توفير أُسر تؤوي هؤلاء اليتامى، والحرص على العناية بهم، لأنه لم يكن لديه وقت للعناية بالأطفال.



نشأ أوليفر في مزرعة الأطفال، وهو مكان يعتني بالأطفال الصغار المحرومين من والديهم، وكانت دار العبادة المحلية تدفع لصاحبة هذه المزرعة مقابل عنايته بهؤلاء الأطفال، لكن المبالغ التي تدفعها دار العبادة لم تكن كبيرة، ولا تكفي لشراء الألعاب أو كعكات حفلات الميلاد أو زينتها أو أي شيء مما يستمتع به الأطفال.

كان مَن يدير مزرعة الأطفال سيدة تُدعى مان، وكانت امرأة أنانية، تحتفظ لنفسها بأغلب الأموال التي من المفترض أن تنفقها على الأطفال، ونتيجة هذا، كان

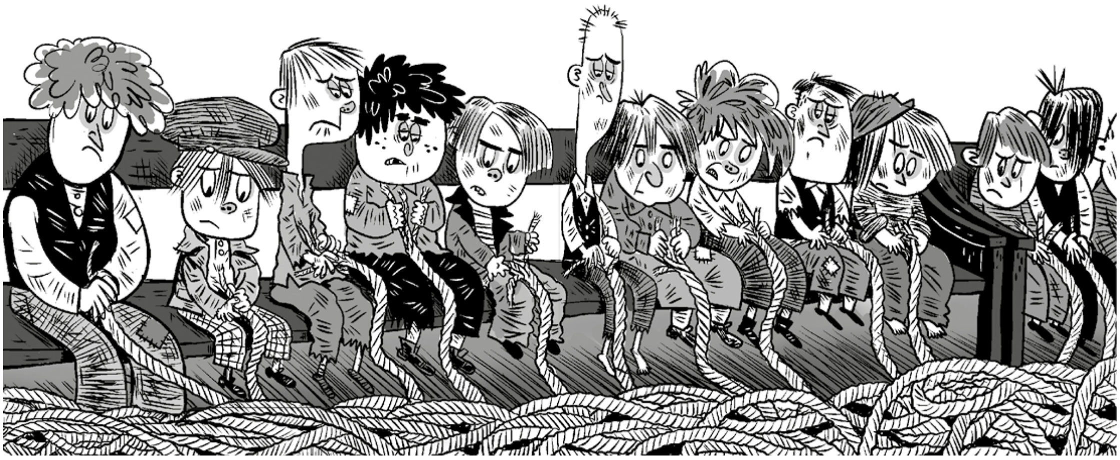
الأطفال دائمًا جوعى، ولا يرتدون سوى الملابس القديمة المهلهلة، التي دائمًا ما تكون واسعة جدًّا أو ضيقة جدًّا.



في سن التاسعة، كان أوليفر تويست طفلًا شاحب الوجه، ونحيل الجسم، لكنه كان ماهرًا ولطيفًا ومفعمًا بالحيوية، ولأنه قد بلغ التاسعة من عمره فقد أصبح أكبر عمرًا من أن يبقى في مزرعة الأطفال.

ذهب السيد بامبل لكي يصطحب أوليفر إلى الملجأ، وفي هذا المكان يجد الأطفال الفقراء الطعام، والمأوى - رغم سوء هذا المكان وقلة الطعام به - وهذا في مقابل عملهم.

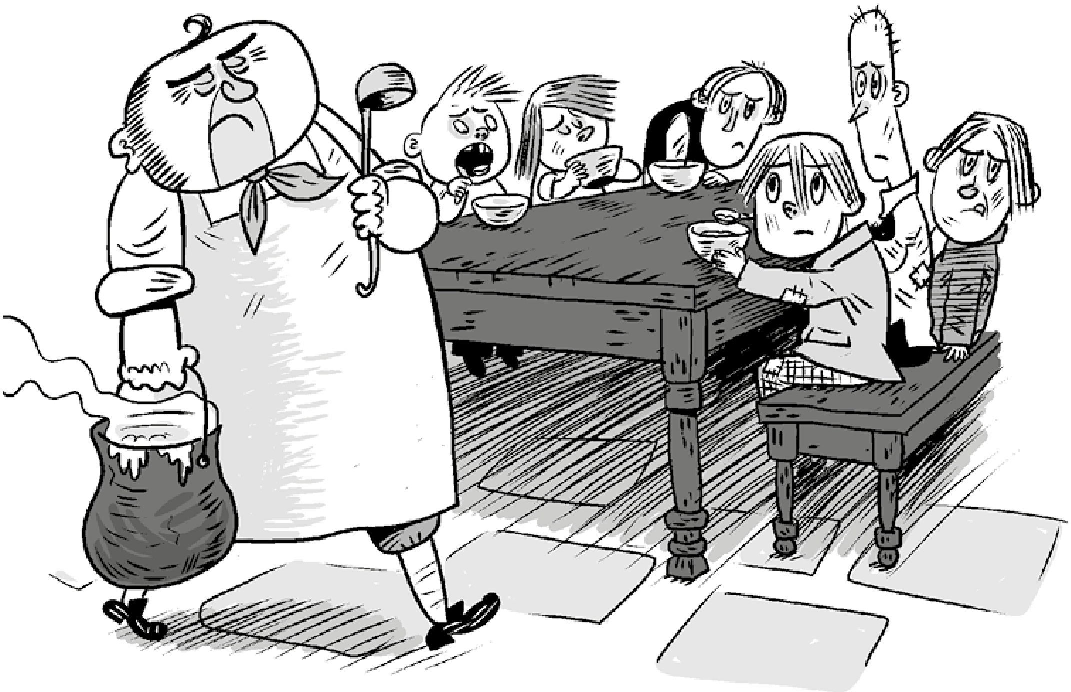
تولَّى أوليفر العمل على فك خيوط أحبال السفن القديمة المغطاة بالقطران حتى يُعاد استخدامها ثانية، ولقد كان عملًا مملًّا وموجعًا لليد بالنسبة له.



كان أوليفر والأولاد الآخرون الذين يعملون معه يتناولون طعامهم في قاعة كبيرة، يوجد في نهايتها وعاء نحاسي ضخم، يوزع منه مشرف الملجأ مغرفة من العصيدة في وقت وجبات الطعام، والعصيدة نوع من الحساء، لكنها كانت مخففة

بالماء، ولا يسمح للأولاد إلا بتناول مغرفة واحدة فقط، وكان هذا هو كل ما يتناولونه من طعام، باستثناء المناسبات الخاصة عندما يحصل كل واحد منهم على قطعة صغيرة من الخبز.

على مدى شهور، ظل أوليفر تويست ورفاقه يعانون الجوع، وأخيرًا تملَّك منهم الإحباط حتى قرروا أن يتحدث أحدهم مطالبًا بمزيد من الطعام، فوقع الاختيار على أوليفر تويست.



حلَّ المساء، وجلس الأولاد في أماكنهم يترقبون المشرف الذي يرتدي زي الطهي، وقد وقف في مكانه إلى جوار الوعاء النحاسي.

قدَّم المشرف العصيدة، فتناولها الأطفال حتى آخر قطرة فيها.

همس الأولاد بعضهم إلى بعض، وغمزوا بأعينهم لأوليفر، ولكزه اثنان من رفاقه. كان أوليفر يشعر بالإحباط بسبب جوعه وبؤسه، فنهض من مكانه، وفي يده الوعاء والملعقة، وسار نحو الطاهي.

وقال له: «أرجوك يا سيدي، أريد المزيد».

شحب وجه الطاهي بشدة، وحدق في ذهول إلى أوليفر لثوانٍ معدودة، وأخذ الأولاد يرتجفون من شدة الخوف.

صاح المشرف غير مصدق ما يسمعه: «ماذا؟!».

أجاب أوليفر: «أرجوك يا سيدي… أريد المزيد».

ضرب الطاهي أوليفر على رأسه بالمغرفة، وأخذ ينادي بأعلى صوته السيد بامبل.



جَرَّ السيد بامبل، أوليفر إلى مدير الملجأ، الذي كان ومن معه يبدون كأنهم متخمون بالطعام، ويرتدون أفضل الثياب على عكس أوليفر.

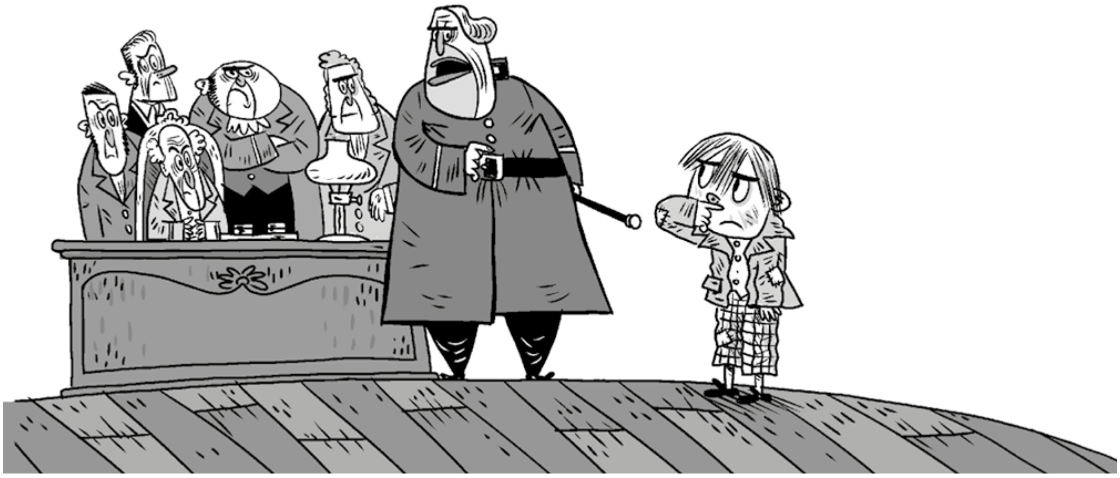
كان المدير يحضر اجتماعًا غاية في الأهمية عندما دخل عليه السيد بامبل، الذي صاح معلنًا بصوت هادر: «عذرًا على مقاطعتك يا سيدي! فلقد قال أوليفر تويست إنه يريد المزيد من الطعام!».

التفتت كل الوجوه في ذعر.

قال واحد من الحضور يرتدي صدرية بيضاء: «يريد المزيد! هل معنى هذا أنه طلب المزيد بعدما انتهى من تناول حصته من الطعام؟».

أجاب بامبل: «نعم يا سيدي».

قال الرجل: «إن نهاية هذا الولد سوف تكون مؤسفة، وهذا مؤكد».



أمر المدير باحتجاز أوليفر في الليل، وفي صباح اليوم التالي علَّق أحد العاملين بالملجأ ملصقًا بالخارج، يعرض أن يأخذ أيٌّ شخص أوليفر تويست مقابل 5 جنيهات.



وسرعان ما وجدوا شخصًا يرغب في أخذه، وهو السيد سوربري الذي يعمل متعهد تكفين المَوتى ودفْنِهم، كان رجلًا طويل القامة ونحيلًا، يرتدي بذلة سوداء بالية.

فكر هذا السيد في أن أوليفر قد يساعده في الكنس والتنظيف في عمله؛ حيث يصنعون التوابيت.

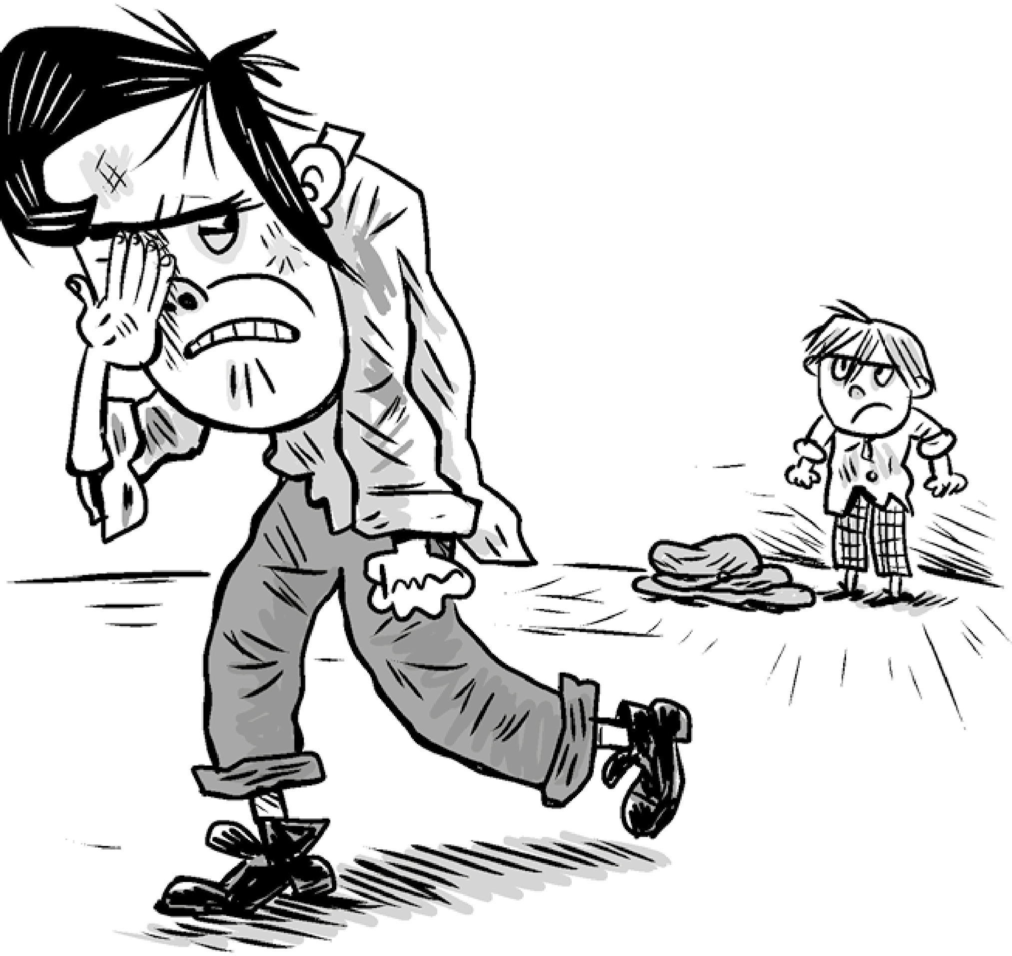


كان السيد سوربري رجلًا لطيفًا إلى حد ما، وبشكل ما كانت حياة أوليفر معه أفضل بكثير من حياته في الملجأ، رغم أنه كان ينام في غرفة مليئة بالتوابيت التي لا تزال في مرحلة التصنيع، لكن من الناحية الأخرى كانت زوجة السيد سوربري امرأة نكدة، حادة الطباع، ولم تكن تحب أوليفر على الإطلاق.

كان هناك مساعد آخر صغير يُدعى نوا، كان يرى أنه أفضل بكثير من أوليفر، وكان دائمًا ما يضايقه، ويسخر منه ويناديه بـ«صبي الملجأ»، ويهين والدته، قائلًا: «لقد كانت امرأة سيئة، سيئة لأقصى درجة».

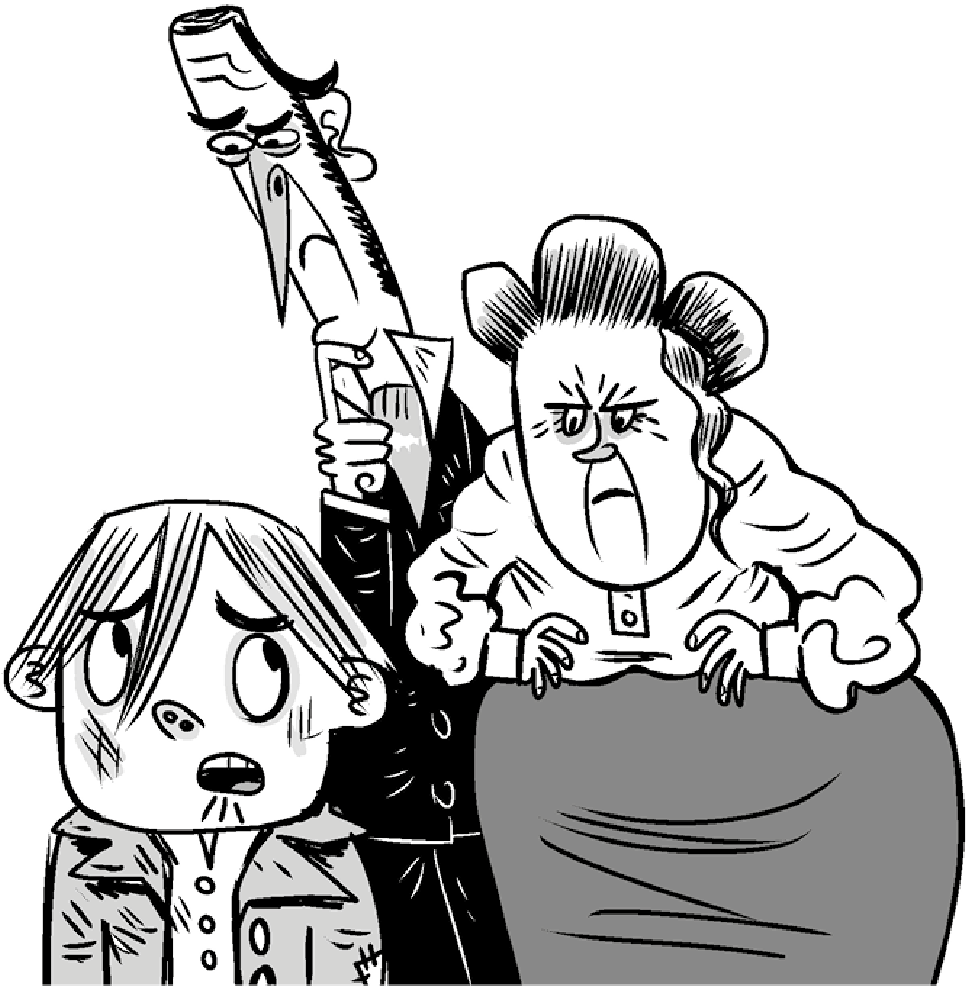


صحيح أن أوليفر لا يتذكر والدته، ولم يكن يعرف حتى اسمها، لكنه كان يدافع عنها بقوة.



وفي يوم من الأيام تمادى نوا في مضايقاته لأوليفر، وسخريته منه، حتى تعارك الاثنان، وتغلب أوليفر على نوا، ذهب نوا ليشتكي إلى السيد والسيدة سوربري، اللذين نظرا إلى أوليفر نظرة توعد.

فقال أوليفر: «لقد قال نوا عن والدتي كلامًا مهينًا، ولهذا ضربته».



قالت السيدة سوربري: «وماذا في ذلك، إن أمك تستحق ما قاله عنها وأكثر».

أجاب أوليفر: «هي لا تستحق ذلك».

قالت السيدة سوربري: «بل تستحق».

صاح أوليفر: «هذا كذب!».

فتصنعت السيدة سوربري البكاء؛ الأمر الذي ضايق السيد سوربري، فضرب أوليفر عدة مرات، ثم أمره أن يذهب لينام في ورشة التوابيت.

وبمجرد أن انفرد أوليفر بنفسه، قرر أنه لا يوجد ما يدفعه للبقاء في هذا المكان.

فلا أسرة.

ولا مستقبل.

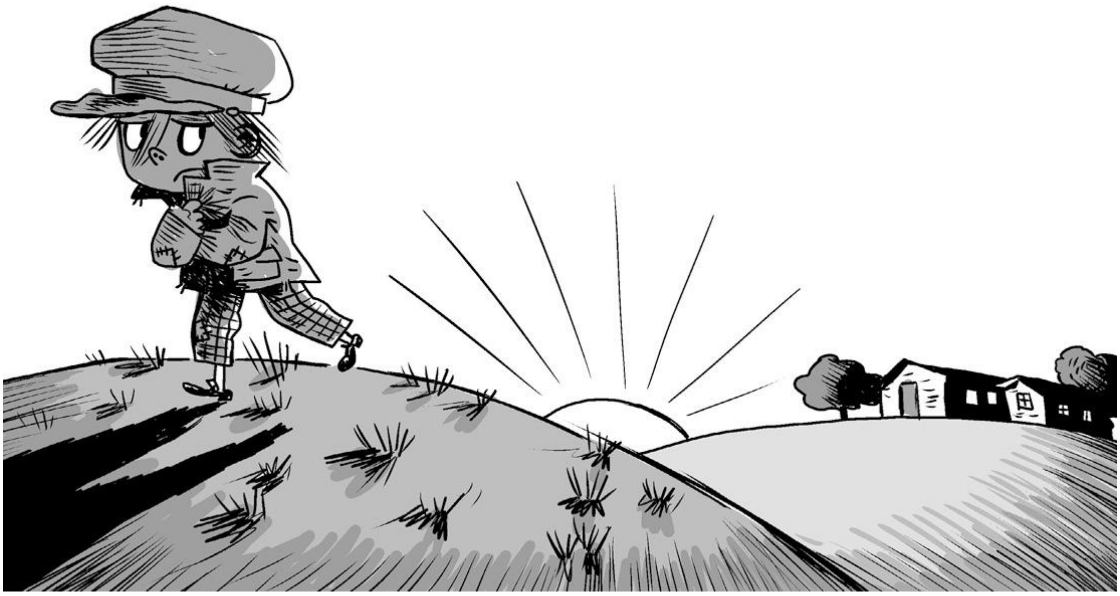
لهذا عليه أن يهرب.

في منزل فاجين

نهض أوليفر مع أول خيوط الصباح التي تسللت عبر الفتحات الصغيرة في الورشة، وفتح بابها بهدوء، وخرج إلى الشارع، ثم توقف.

هل يسير يمينًا أم يسارًا؟

استدار باتجاه اليسار، ثم سار إلى أعلى التل، وبعدها عبر بعض الحقول، ومر على مزرعة الأطفال لصاحبتها السيدة مان، وقد سرت في جسده قشعريرة باردة، ووصل إلى الطريق السريع، وجلس على حجر هناك.



كتُب على هذا الحجر: لندن. 110 كم.

لا بأس بهذا، فقد كان أوليفر عازمًا على أن يسعى في حياته إلى مكان بعيد.

عاش أوليفر على مدى الأيام القليلة التالية بفضل ما يجود به الرحماء من عمال الطرق، من بعض الخبز والجبن، كما أن سيدة عجوزًا أعطته بعض المال.



وفي صباح أحد الأيام، ذهب أوليفر إلى بلدة بارنت، القريبة من لندن، وجلس على عتبة أحد الأبواب بعد أن شعر بالإجهاد الشديد.



وبعد قليل، لاحظ أن ولدًا في مثل عمره تقريبًا يحدق إليه، كان الولد سمينًا، وذا أنف أفطس، وعينين صغيرتين حادتين.

قال الولد لأوليفر: «مرحبًا! ما أخبارك؟».

أجاب أوليفر: «أنا جائع ومتعب للغاية، لقد ظللت أسير على مدى سبعة أيام».

قال الولد: «تسير سبعة أيام! لا شك أنك ترغب في بعض الطعام. سوف أحضره لك». أحضر الولد لـ أوليفر بعض اللحم، ورغيفًا من الخبز من متجر قريب. عرف أوليفر أن صديقه الجديد اسمه جاك دوكينز، رغم أن أغلب الناس ينادونه بـ«آرتفول دودجر» (ويعني المراوغ الداهية).

سأله جاك: «هل أنت ذاهب إلى لندن؟».

أجاب أوليفر: «نعم».

- «هل لديك مكان لتقيم فيه؟».

- «لا».

- «ألديك مال؟».

- «لا».



قال جاك: «ينبغي أن أصل إلى لندن الليلة، إنني أعرف رجلًا عطوفًا، كبيرًا في السن يعيش هناك، وسوف يوفر لك مكانًا كي تنام فيه دون مقابل».

استمر جاك وأوليفر في سيرهما طوال اليوم متجهين إلى لندن، وبحلول الساعة السابعة مساءً وصلا إلى مكان سيئ للغاية في المدينة.

كانت الشوارع ضيقة، وموحلة بالطين، وقد استلقى رجال ونساء على الأرض عند مداخل المنازل المتهالكة التي كان يصدر منها صراخ الرضيع، والأطفال يهرولون في كل مكان.



أخذ أوليفر يفكر في أن يفر مرة أخرى، لكن حينها قبض جاك على ذراعه وقاده إلى أحد المنازل في نهاية الممر. أخرج رجل ذو ملامح قاسية رأسه من الباب، كان الرجل يحمل شمعة في يده، ومن ورائه امرأة.

قالت المرأة: «إنه دودجر».

قال جاك: «مرحبًا يا نانسي».



قال الرجل بصوت كله غظلة وجفاء: «إنهما اثنان، مَن هذا الولد الآخر؟».

أجاب جاك: «إنه صديقي الجديد، هل فاجين بالطابق الأعلى؟».

أجاب الرجل: «إنه يوزع الغنيمة».

صعد الولدان على الدرج المتهالك، وفي الأعلى فتح جاك باب الغرفة بقوة، وكانت الغرفة سوداء بسبب عدم تنظيفها.

كان يجلس حول المائدة أربعة أولاد في مثل سن أوليفر، وعند الجدار البعيد كانت هناك أسرَّة مصنوعة من الخيش الغليظ الخشن.

كما كان هناك رجل عجوز ذو شعر أحمر ملبد، يرتدي سترة ملطخة بالدهون، يطهو السجق على النار باستخدام شوكة التحميص.

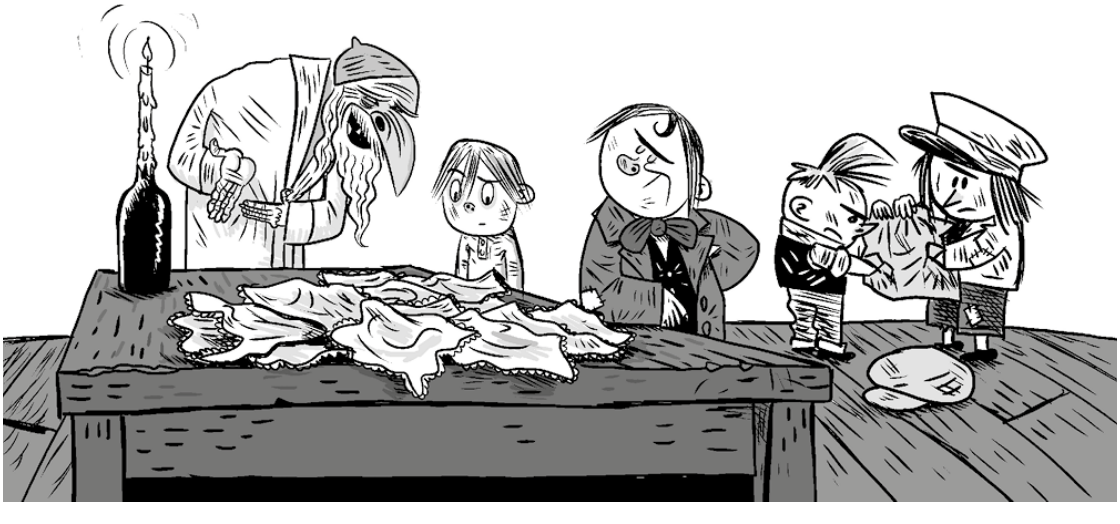
قال جاك للرجل العجوز: «هذا صديقي أوليفر تويست يا فاجين».



انحنى فاجين أمام أوليفر.

قال الرجل: «تسعدنا جدًّا رؤيتك يا عزيزي».

كما رحب الأولاد به، وصافحوه، وساعدوه على خلع معطفه وقبعته، بل حاولوا أن يفرغوا ما في جيوبه بدلًا منه. ولم تكن هناك حاجة لمثل هذه المساعدة؛ لأن جيوب أوليفر كانت خاوية بالفعل.



كانت هناك الكثير من المناديل الموضوعة على المائدة، فلاحظ فاجين أن أوليفر يحدق إليها، فقال له: «لقد أخرجناها استعدادًا لغسلها، وهذا هو السبب فقط يا أوليفر، ها ها ها!».

هل تلك هي «الغنيمة» التي تحدث عنها الرجل بالطابق الأسفل؟



شعر أوليفر بالحيرة، لكن الأهم من هذا أنه كان جائعًا، فأكل نصيبه من السجق بنهم، وقد أدى تناوله الطعام بعد سيره طوال اليوم إلى شعوره بالنعاس، فجلس على أحد أسرَّة الخيش، وسرعان ما ذهب في نوم عميق.

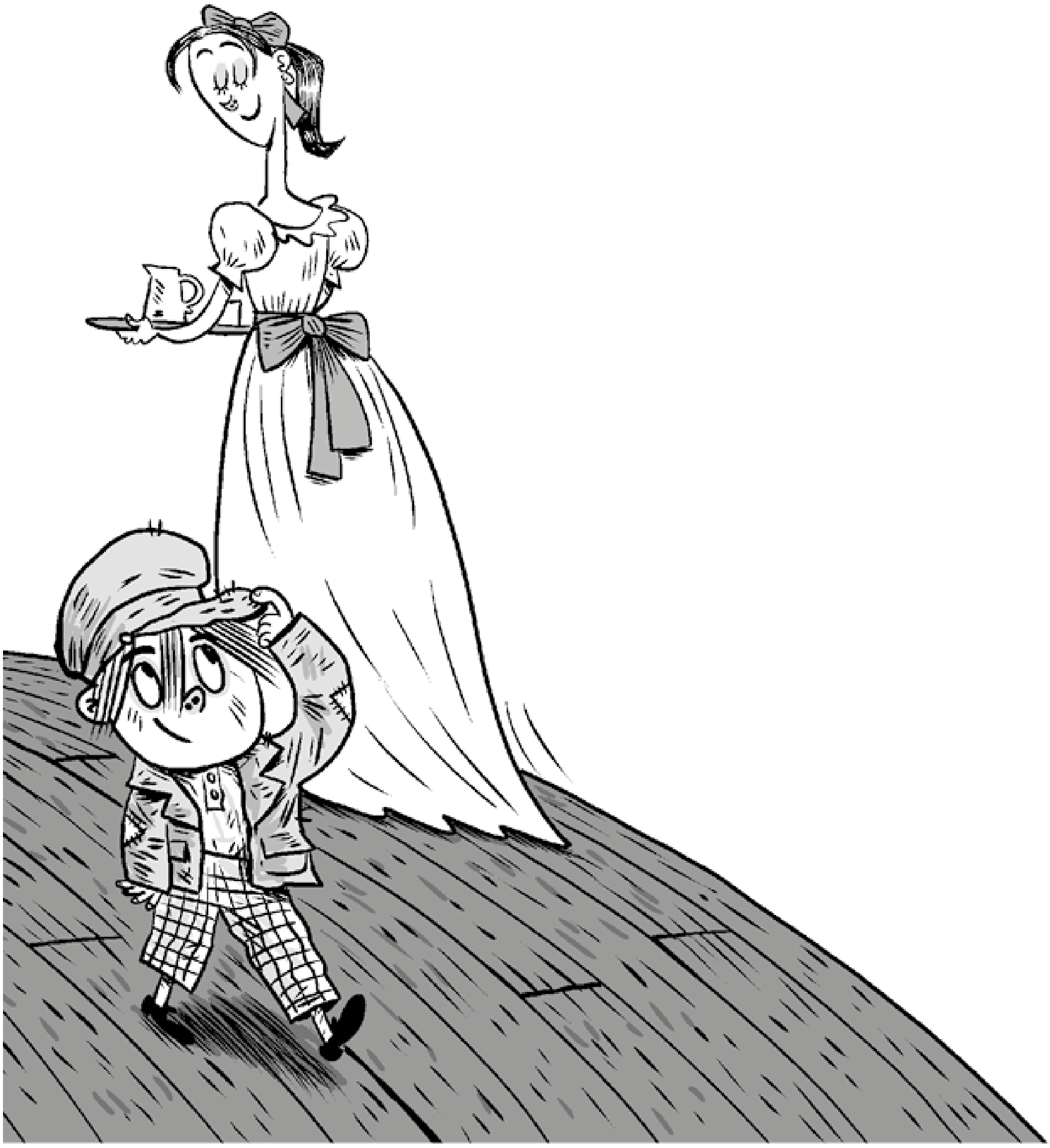
كان الأولاد يغيبون عن المنزل في أغلب اليوم، وكانوا ودودين معه، وبدا كأنهم أسرة واحدة كبيرة، يعودون ومعهم أغراض متنوعة، مثل المناديل والمحافظ وسلاسل الساعات، بل الساعات أيضًا في بعض الأحيان.

وكان فاجين يفحص كل تلك الأغراض، وفي بعض الأحيان يمتدح براعة الصبي الذي جاء بها، ويغضب بشدة إذا لم يحضر أحد الأولاد شيئًا معه، ولم يعلم أوليفر كيف وجد هؤلاء الأولاد الوقت لكي يصنعوا كل هذه الأغراض؟





كان أوليفر يشعر ببعض الخوف من فاجين، رغم أن الرجل العجوز يوفر له الطعام والمأوى، وكان يخاف أكثر من الرجل الموجود بالطابق الأسفل، الذي يدعى بيل سايكس؛ لأن طباع سايكس كانت حادة جدًّا، وكثيرًا ما كان الأولاد يسمعون الشجار الذي يدب بينه وبين
المرأة التي تُدعى نانسي.



كانت نانسي، مثل الآخرين، تخاف من سايكس، لكن يبدو أنها تحبه. كانت المرأة لطيفة مع أوليفر، وتبتسم له وتسأله عن حاله، ولم يكن أوليفر يعرف بِمَ يجيبها، لكنه كان يفرح بسؤالها.

ومما سمعه أوليفر، أدرك أن سايكس وفاجين يعملان معًا، لكن ما طبيعة عملهما؟

بعد أسبوع تقريبًا من وصوله إلى منزل فاجين عرف أوليفر الجواب، ففي أثناء سيره مع جاك - الذي أصبح يدعوه مثلما يدعوه الآخرون آرتفول دودجر - ومع ولد يُسمى تشارلي، فجأة توقف دودجر.

وقال: «هل ترى السيد الواقف إلى جوار كشك بيع الكتب - ذلك الرجل الذي يرتدي معطفًا أخضر؟».

أجاب تشارلي: «نعم، هو شخص مناسب».



ظل أوليفر واقفًا يشاهد صديقيه وهما يتسللان خلف الرجل الذي يرتدي المعطف الأخضر، وكان يتصفح أحد الكتب.



فزع أوليفر عندما رأى دودجر يمد يده إلى جيب الرجل ويسحب منه منديلًا.

وعلى الفور فهم أوليفر ما كان الأولاد يفعلونه في كل يوم، ومن أين تأتي كل هذه المناديل والمفكرات والساعات.



لقد كان أصدقاؤه الجدد نشالين ولصوصًا!

ظل أوليفر واقفًا في مكانه وقد سيطر عليه الرعب والذهول.

مد الرجل يده في جيبه ليأخذ منديله في تلك اللحظة ذاتها، ورأى ما يجري.

ركض الولدان بأقصى سرعتيهما.

وركض أوليفر أيضًا.



لكنه لم يكن سريعًا أو معتادًا ذلك مثل الولدين الآخرين.

وفي اللحظة التي صاح فيها الرجل قائلًا: «أمسكوا اللص!»، كان كل من دودجر وتشارلي قد اختفيا تمامًا! لكن أوليفر لم يكد يصل إلى أول منعطف حتى وقع أرضًا بعدما اصطدم برجل ضخم، فتجمهر الناس حوله، وبقي على الأرض وقد تلطخ بالطين والغبار.



تفرق الناس لكي يسمحوا لرجل الشرطة والرجل الذي سُرق عند كشك الكتب، بالمرور.

قال الرجل: «نعم، هذا هو الولد»، لكنه لم يبدُ غاضبًا، بل كان يحدق إلى أوليفر كأنه يحاول أن يتذكر أين رأى هذا الولد من قبل.

أمسك الشرطي بأوليفر من ياقة قميصه، وجره جرًّا.

قال أوليفر: «لم أكن أنا يا سيدي».

قال الشرطي: «هذا ما تقولونه جميعًا».



في منزل السيد براونلو

مرت الساعات القليلة التالية، وأوليفر في حالة ذهول، وقد أخذه الشرطي إلى قسم الشرطة، ومنه إلى المحكمة، وكان الشاهد الوحيد على السرقة هو السيد براونلو؛ الذي سُرق منديله.

لكن بدلًا من أن يتهم أوليفر بالسرقة - أو أنه أحد اللصوص - قال السيد براونلو إن هذا الولد بريء.



انتهت القضية، وأخبر الشرطي أوليفر بأن يمضي إلى حال سبيله. وبعد دقائق معدودة عندما غادر السيد براونلو المحكمة، رأى أوليفر راقدًا على الرصيف، وقد شحب وجهه بشدة، وأخذ يرتجف.

قال السيد براونلو وهو ينحني نحوه: «يالك من ولد مسكين»!، ثم طلب من الناس في الطريق أن يوقفوا له عربة أجرة بسرعة.

لم يكد أوليفر يدرك أي شيء مما يجري حوله، فرقد على مقعد عربة الأجرة، وصعد السيد براونلو إلى جواره، ورغم حركة العربة وارتفاع صوت حوافر الخيول التي تجر العربة، ذهب أوليفر في نوم عميق.



استيقظ أوليفر وهو في غرفة نوم دافئة ومريحة، ووجد سيدة عجوزًا تعتني به، فحاول أن ينهض، لكنها قالت له برقة: «اهدأ يا صغيري، وإلا قد تمرض ثانية».

سألها: «هل كنتُ مريضًا؟».

- «كنت مصابًا بالحمى، لكن حالتك أفضل الآن».

انفتح الباب، ودخل منه رجل، فعرف أوليفر أنه السيد براونلو، الذي رأى أن أوليفر قد أفاق.

وصل السيد براونلو إلى فراش أوليفر، ونظر إليه، وقال فقط: «يسعدني أنك قد استعدت بعض نضارة وجهك يا غلام».

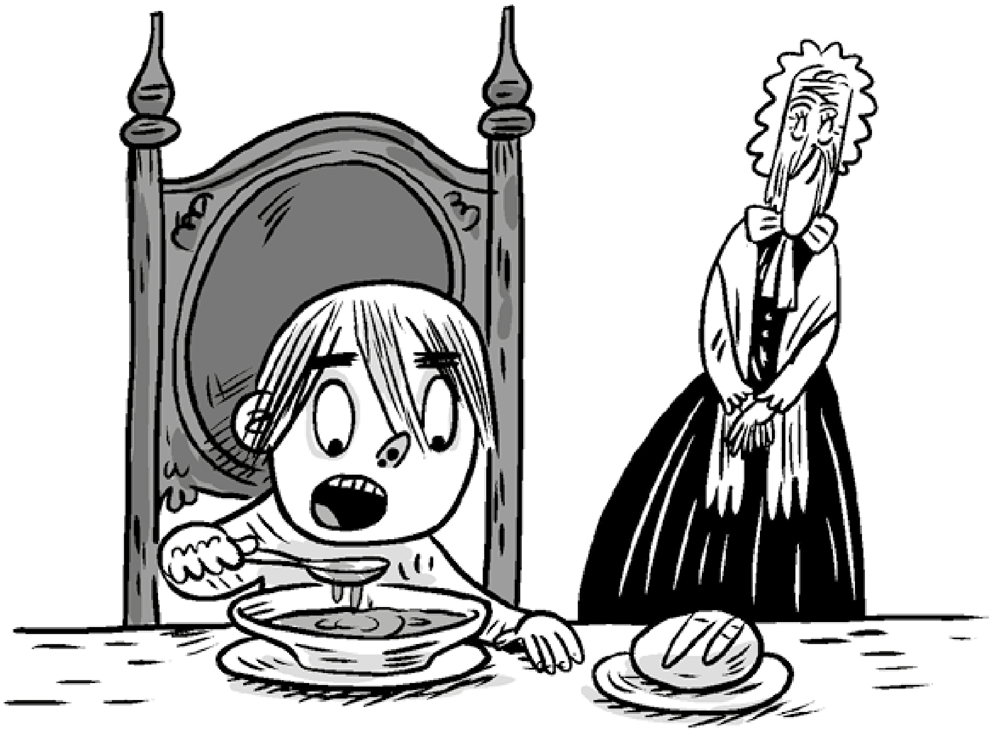
وعلى مدى الأيام القليلة التالية، استعاد أوليفر صحته، وعرف أن هذا هو منزل السيد جون براونلو، وأن السيدة العجوز هي مدبرة المنزل، وهما طيبان جدًّا، ويوليان أوليفر اهتمامًا كبيرًا.



كان أوليفر يحصل على طعام وفير، ويُسمح له بأن يستيقظ من نومه صباحًا وقتما يريد، ويتلقى أفضل معاملة، بل اشترى له السيد براونلو مجموعة جديدة من الملابس.



في بعض الأحيان، كان أوليفر يرى الكوابيس في نومه عن حياته الماضية، لكنه لم يخبر السيد براونلو أو السيدة اللطيفة مدبرة المنزل بأي شيء عنها، فبالنسبة له لقد أصبح آمنًا وسعيدًا.

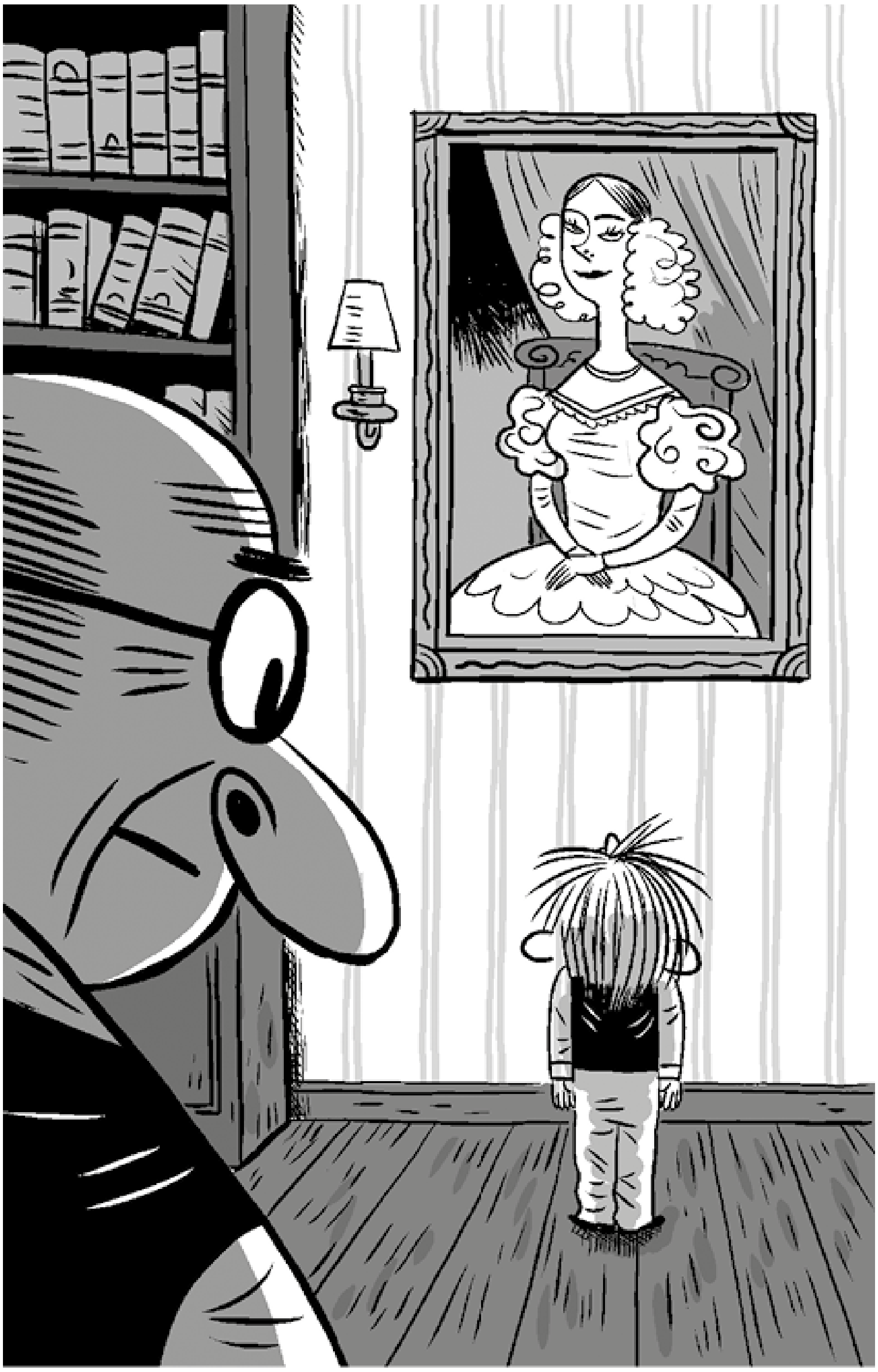


في أحد الأيام، كان أوليفر بصحبة السيد براونلو في غرفة مكتبه، وكانت الغرفة مليئة بالكتب، وهناك صور معلقة على الحائط. كانت إحدى هذه الصور لسيدة جميلة، وكان وجهها مألوفًا له بشكل ما، رغم أن أوليفر لم يعرف السبب.

نظر السيد براونلو ببطء إلى أوليفر، ثم إلى الصورة، وهزَّ رأسه، وبدأ يتحدث عن الكتب الموجودة في غرفة المكتبة، وقال إن أوليفر سوف يقرؤها في يوم ما.

وفجأة ضرب السيد براونلو جبهته بيده.

سأل أوليفر وهو يبدي احترامًا شديدًا للرجل الذي أنقذه: «ما الأمر يا سيدي؟».



قال السيد براونلو: «يا إلهي! أنا لم أدفع ثمن الكتاب! ولا يزال الكتاب في جيب معطفي».

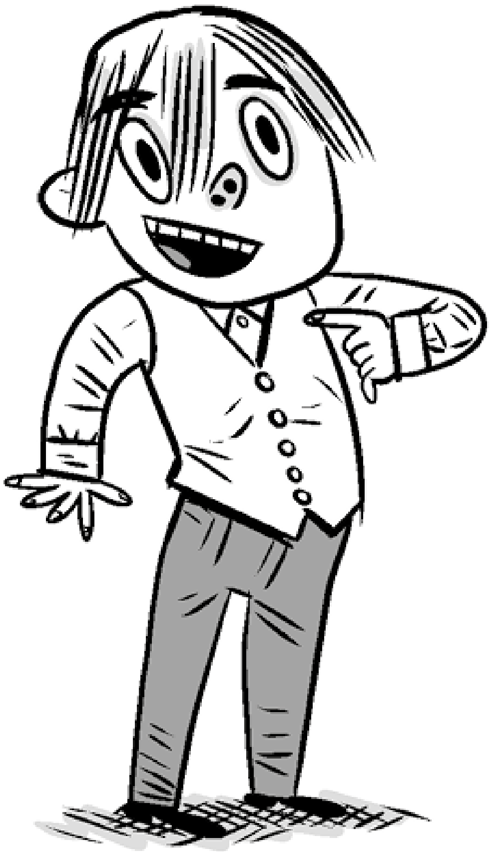
فوسط الفوضى التي وقعت في يوم سرقة منديله عند كشك بيع الكتب، وضع السيد براونلو الكتاب الذي كان بين يديه في جيبه، ولم يدفع للبائع ثمنه. شعر السيد براونلو بالضيق، وأراد أن يدفع ثمنه على الفور!



قال أوليفر: «سوف أذهب يا سيدي لأسدد المبلغ، إذا كنت تأمنني على المال»، فقد كان أوليفر متلهفًا لكي يرد الجميل لهذا الرجل الذي تعامل معه بكل رحمة ولطف.

- «بالطبع أثق بك يا أوليفر، لكنك ما زلت في مرحلة تعافيك من المرض، وينبغي ألا تخرج من المنزل الآن».

قال أوليفر: «أنا الآن أفضل حالًا بكثير».



كان كلامه صحيحًا، فقد كان أفضل حالًا، وأكثر قوة من أي وقت مضى. أعطاه السيد براونلو 5 جنيهات، ورسالة لكي يعطيها البائع.

بعد أن وضع أوليفر المال والرسالة في جيب معطفه الجديد، انطلق في الشوارع التي لم تطأها قدمه على مدى أسابيع.



في منزل فاجين ثانية

لم ينسَ كل من فاجين وبيل سايكس أوليفر، فقد خطط سايكس ليستقطبه مرة ثانية ليكون مساعده، وكان سايكس متخصصًا في السطو على منازل الأثرياء في الليل، وأوليفر هو الولد المناسب بالنسبة له في مثل هذه المواقف؛ حيث يستطيع بحجمه الصغير أن يتسلل عبر نافذة صغيرة قد يَعْلَق بها الأولاد الأكبر حجمًا منه.



كما كان فاجين وبيل يشعران أيضًا بالقلق، فكانا يعلمان أن الشرطة ألقت القبض على أوليفر، ووقف أمام القاضي في المحكمة. ويعلمان أيضًا أنه ذهب إلى منزل السيد براونلو، فقد ظل اثنان من صبيان فاجين يركضان خلف عربة الأجرة ليعرفا إلى أين يذهب.

لكن ما لم يعرفاه هو ما قاله أوليفر إنه ليس لصًا، ليس مثل دودجر أو تشارلي، ولم يقل هذان الولدان شيئًا، لكن أوليفر تويست قد يفشي سرهما في أي وقت! بل قد يقود الشرطة إلى باب منزلهم!

لهذا يجب أن يمسكا بأوليفر قبل أن يتسبب في أي أذى لهما. لقد كان أوليفر في أمان مادام في منزل السيد براونلو، لكن ماذا عن اللحظة التي يخرج فيها إلى الشارع...؟



وقد حدث ما لم يكن يرجوه أوليفر بمجرد أن عاد إلى الشارع.

فقد كان يركض في الشوارع، وكل ما يفكر فيه أن يُسدد المال لبائع الكتب، ويسرع بالعودة إلى السيد براونلو ومعه باقي المال، فقد أراد أن يظهر له أنه شخص يُعتمد عليه، وجدير بثقته.

فجأة سمع امرأة تصيح قائلة: «إنه أوليفر!».

ميَّز أوليفر صوت نانسي قبل أن يرى وجهها، وتأخر في الانتباه إلى أن بيل سايكس كان معها. أمسك سايكس بأوليفر من ذراعه وبدأ يجره بعيدًا، وبدا الأسف على وجه نانسي لأنها نادته.



أخذ سايكس يقول للمارين إلى جواره ممن يبدو عليهم التساؤل بصوت أجش: «إنه ابني».

وبعد الركض والتعثر، وصلوا إلى أقذر وأفقر مكان في المدينة، وكان أوليفرعاجزًا عن أي محاولة للهرب بسبب قبضة يد سايكس القوية. وسرعان ما وصلوا إلى مخبأ فاجين.

ساروا عبر الردهة المظلمة، ثم صعدوا الدرج المتهالك، ووصلوا إلى الغرفة القذرة.

كان فاجين جالسًا إلى المائدة يفحص المناديل كالمعتاد، وقد ترك شعره الأحمر المتلبد منسدلًا على جانبي وجهه، وكان تشارلي وبعض الأولاد الآخرين جالسين في زاوية الغرفة.

قال سايكس: «أمسكت بالولد».

قال فاجين: «تسعدني رؤيتك مرة أخرى يا عزيزي».



سأل تشارلي: «ما الذي كنت تفعله يا أوليفر؟».

لم يقل أوليفر أي شيء، بل كان يفكر في السيد براونلو؛ الرجل المهذب اللطيف الذي ينتظر الآن عودته من متجر الكتب، وعند عدم عودته سوف يعتقد أنه أخذ المال وهرب به، وسيكون أوليفر في نظر السيد براونلو لصًّا بكل تأكيد.



كانت تلك الفكرة أسوأ من عودته إلى عصابة فاجين.

قال سايكس وهو يتحسس معطف أوليفر: «جميلة هذه الثياب التي ترتديها».



قال تشارلي وهو ينتزع من جيب أوليفر الجنيهات الخمسة: «ومال وفير أيضًا».

قال سايكس: «لا بد أنها مكافأتك عن الإرشاد عنا».

قال أوليفر: «إنها ليست نقودي».

قال تشارلي: «لا، إنها نقودنا الآن».

سأله سايكس في غلظة: «مَن الذي أخبرته بمكاننا؟».

تلعثم أوليفر وهو يجيبه: «لم أ-أ-أخبر أحدًا».

انتزع فاجين النقود من تشارلي، ثم أمسك أوليفر من كتفيه بيديه الشبيهتين بالمخالب، وانحنى وهمس في أذن أوليفر قائلًا: «هيا أخبرني فقط يا عزيزي».

قال أوليفر: «أنا لم أقل أي شيء».

وكان أوليفر صادقًا في كلامه.

كانت نانسي واقفة في صمت، ثم قالت: «أوليفر لا يفشي الأسرار».



قال سايكس: «اصمتي، ولا تتحدثي إلا إذا سألناكِ».

ذهب سايكس وفاجين إلى جوار المدفأة، وأخذا يتهامسان.

ثم قال فاجين لكل الموجودين:

«لم يعد المكان هنا آمنًا، سوف نذهب إلى جزيرة جاكوب».

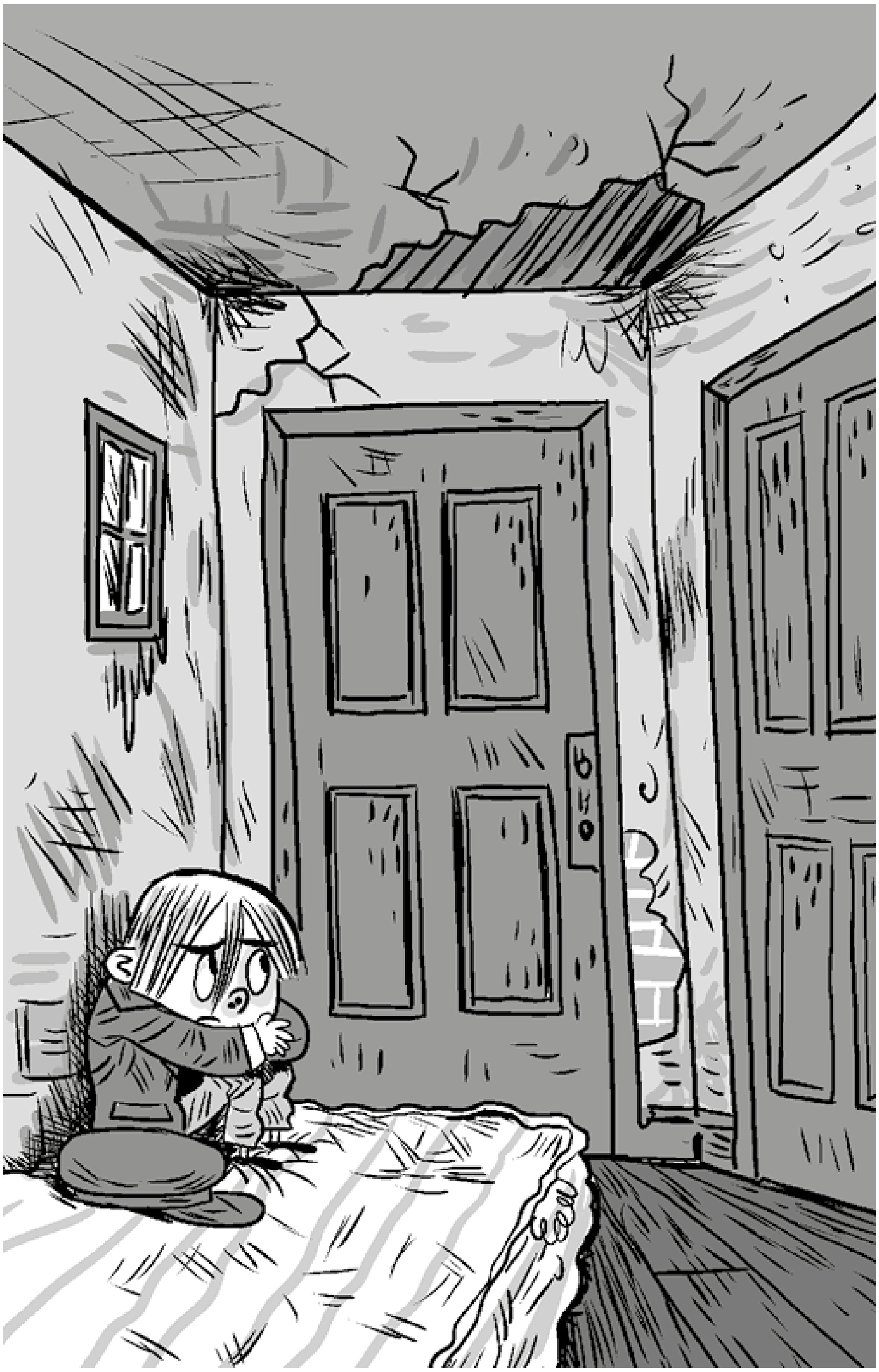
جزيرة جاكوب

جزيرة جاكوب عبارة عن قطعة أرض مجاورة لميناء لندن، يحيطها قناة تمتلئ بالمياه الضحلة، وعندما يزيد مد المياه، تصبح أشبه بجزيرة تحيطها المياه من كل جانب. تمتلئ جزيرة جاكوب بالمنازل القديمة الآيلة للسقوط، حتى إن نصف المنازل قد تهدم بالفعل، والنصف الآخر يبدو على وشك أن تغمره مياه القناة، بما في ذلك مسكن العصابة الجديد.



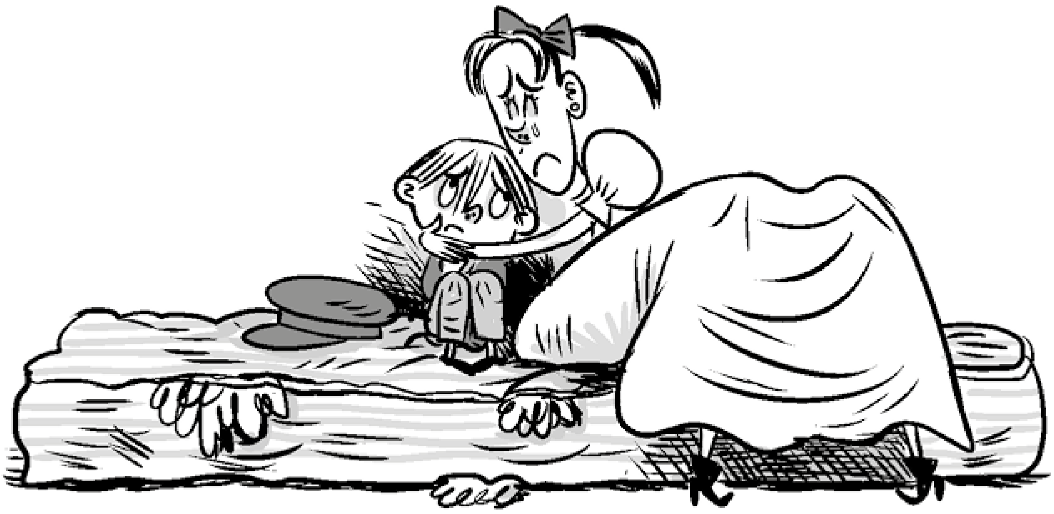
لم يكن أي شخص يذهب إلى مثل هذا المكان باختياره، لكنه كان أكثر مكان آمن يعرفه فاجين وسايكس. كان الأولاد الآخرون يجيئون ويذهبون، لكن لم يسمح لأوليفر بمغادرة المكان، بل احتُجز في غرفة بالطابق العلوي، لها بابان موصدان، ونافذة تطل على القناة الموحلة، وكانت النافذة صغيرة جدًّا بحيث لا يستطيع حتى أوليفر المرور عبرها.

أحضرت نانسي لأوليفر الخبز والجبن، ومن حين لآخر كانت تحضر له قطعًا صغيرة من اللحم.



سألها أوليفر: «ماذا سيحدث لي؟».

لم تجبه نانسي، وأحاطته بذراعيها. أعتقد أوليفر أن نانسي كانت تبكي، ما أشعره بالخوف عليها... وعلى نفسه.



في بعض الأحيان كان يسمع جدالًا يجري بالطابق الأسفل، وغالبًا ما يكون صاحب الصوت هو بيل سايكس، ويسمع صوت نانسي مرة أو اثنتين.

مرت ثلاثة أيام أو أربعة على هذا النحو، وبعدها، في أحد الأيام، بينما كانت الشمس تشارف على المغيب، ارتفع الجدل إلى درجة حادة.

فكان سايكس يصيح في غضب.

وكانت نانسي تصيح هي الأخرى.

وفجأة ارتفع صوت جلبة عالية، ثم صوت ارتطام، وبدا كأن هناك شيئًا - أو شخصًا - قد وقع بقوة على الأرض.



ثم ساد المكان صمت كئيب.

ألصق أوليفر أذنه بالباب، لكنه لم يسمع أي شيء سوى دقات قلبه المتسارعة.



اتجه إلى النافذة الصغيرة، وكان هناك جسر متهالك موضوع فوق القناة بالخارج، لم يكن الجسر أكثر من مجرد ألواح خشبية بعضها مربوط ببعض، ورغم ضعف الإضاءة فإن أوليفر رأى مجموعة من الرجال يعبرون الجسر واحدًا تلو الآخر، متجهين نحو المنزل.

علا صوت طرْقهم الباب، وأخذوا يصيحون قائلين: «افتح الباب!»، واخترق صياحهم الباب، فارتج له المنزل كله.

سمع أوليفر صوت مفاتيح، إنه شخص يحاول فتح باب غرفته الموصدة في ذعر. انفتح الباب، فدخل آرتفول دودجر غرفة أوليفر.

سأله أوليفر في ذعر: «ماذا يجري؟».

أجاب دودجر: «إنه كمين».

وكانت هذه العصابة تستخدم كلمة «كمين» للدلالة على الشرطة.

وأضاف: «ظن بيل أن نانسي أبلغت الشرطة عن هذا المكان؛ ولهذا هرب بيل و...»



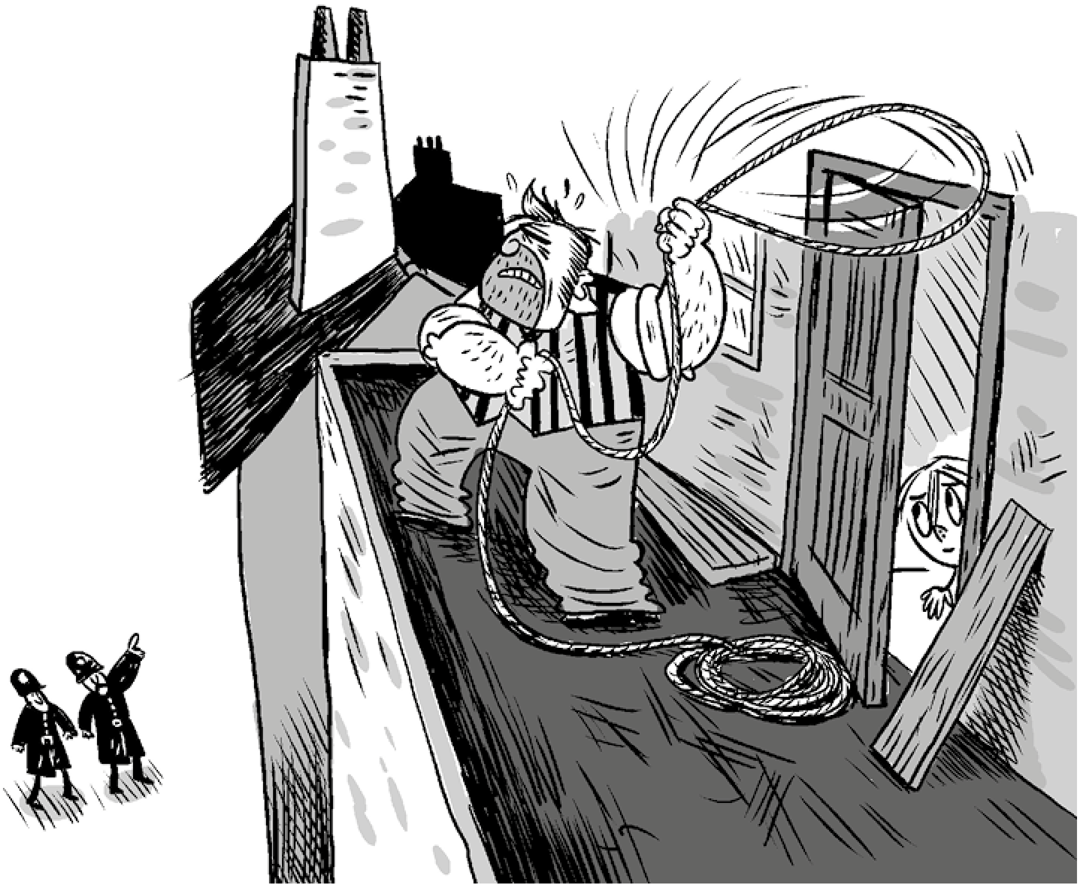
لم يكمل عبارته بسبب ارتفاع أصوات الضجيج والصياح بالأسفل، وأخذ الضجيج يرتفع أكثر وأكثر مع كل ثانية تمر. ركض دودجر إلى الباب الآخر وهو يُخرج مفتاحه، وعبر منه بسرعة البرق.

ولم يره أوليفر ثانية مطلقًا.

تعالى صوت وقع أقدام ثقيلة تسرع بصعود الدرَج، فقد كان هذا بيل سايكس وقد اندفع إلى داخل الغرفة، وكان شعره غير مشذب، ويحمل في يده لفة حبال.



نظر سايكس إلى أوليفر كأنه لم يره من قبل في حياته، ثم دفعه بقوة في صدره دفعة أوقعته أرضًا.



توقف سايكس وهلة، عند عتبة الباب الذي هرب منه دودجر منذ قليل، ومن خلفه استطاع أوليفر أن يرى السماء.

قال سايكس: «إن لكل فأر جحره الذي يأوي إليه، أليس كذلك يا غلام؟».

كان هذا الباب يطل على حافة صغيرة، تمر بين أسطح المنازل المجاورة. نظر سايكس حوله في يأس، وهو يحاول أن يتخذ قراره حول ما يتعين عليه فعله، وصنع عقدة من الحبل، وصوبها إلى فوهة المدخنة.

كان يحاول أن يهبط إلى قناة المياه، التي أصبحت الآن ممتلئة بالماء بفعل المد.

سمع أوليفر صوت رجال الشرطة بالأسفل وقد انضمت إليهم مجموعة من الحشود الذين يصيحون. لم يستطع أوليفر أن يميز ما إذا كان صياحهم تهليلًا لسايكس أم سخرية منه.

عند عتبة الباب رأى أوليفر ظِلَّ سايكس الأسود الذي انعكس بسبب شعاع الشمس المائل للغروب، ورآه يرمي عقدة الحبل باتجاه المدخنة، التي لم تبلغها، فزلت قدم

سايكس، ووقع من حافة السطح.

وسمع أوليفر صوتًا هادرًا بالأسفل.

ثم ساد المكان صمت مطبق.

البيت

عاد أوليفر مرة ثانية إلى منزل السيد براونلو، وظل مقيمًا لديه، فمن المفترض أن يصبح منزله.



اتضح أن نانسي هي التي ذهبت إلى السيد براونلو بسبب خوفها على أوليفر، وبمجرد أن أخذوه إلى جزيرة جاكوب، قام جون براونلو بإخطار الشرطة بمكان اختباء فاجين، لكن نانسي هي مَن دفعت الثمن غاليًا.

فقد اتهمها سايكس بالخيانة وقتلها.

كثيرًا ما كان أوليفر يفكر في نانسي؛ كيف أنها خاطرت بكل شيء حتى حياتها لكي تنقذه، وكان سعيدًا لأن آرتفول دودجر تمكن من الفرار، وسعيدًا أيضًا بشكل ما بسبب إلقاء القبض على فاجين.

لكن هناك أمورًا جديدة تشغله الآن.

في يوم من الأيام، كان أوليفر في غرفة مكتب السيد براونلو، وكان يحدق إلى الصورة المألوفة له بشكل غريب، صورة الليدي الصغيرة الجميلة.



نزع السيد براونلو الصورة من الحائط، وقربها من أوليفر حتى يراها جيدًا. نظر السيد براونلو إلى الاثنين جنبًا إلى جنب، إلى وجه الغلام وإلى صورة الليدي الصغيرة.

وسأل: «ألا ترى هذا الشبه؟ أوه، حسنًا، إن الشخص الوحيد الذي لا تراه بحق هو نفسك يا أوليفر، خذ الصورة».

أوضح السيد براونلو أن هذه المرأة هي خالة أوليفر، وكان من المفترض أن يتزوجها السيد براونلو، لكنها للأسف توفيت قبل الزفاف. وقد كانت لها أخت أصغر منها بكثير، تُدعى أجنيس، ويتذكرها السيد براونلو بكل محبة.



وعلى الرغم من انقطاع الاتصال بينهما، فإنه عرف أنها مرت بأوقات عصيبة، وأنها أنجبت طفلًا. حاول السيد براونلو كثيرًا إيجاد هذا الطفل، حتى فقد الأمل في العثور عليه، إلى أن جاء اليوم الذي حاول الولدان الصغيران سرقته عند كشك بيع الكتب.



ثم قال السيد براونلو: «في اللحظة التي رأيتك فيها يا أوليفر، علمت أنك مألوف لي بشكل ما، رغم أنك كنت وقتها متسخًا، وعلى وشك أن يصطحبك الشرطي إلى قسم الشرطة، لكنني لم أكن متأكدًا وقتها، وكان لا بد من البحث والاستفسار، فتحدثت مع بعض الأشخاص السابقين في حياتك، ممن يعلمون أكثر مما أخبروك به عن والدتك، وعندما تأكدتُ، اختفيت أنت ثانية لدى فاجين».

أثناء تحدث السيد براونلو بدأ صوته يخرج مرتعشًا.

لم يجبه أوليفر، فهو لم يستطع أن يجيبه، وأخذ يمر بإصبعه على وجه الليدي في الصورة، فقد كانت هي الرابط الذي يصل بينه وبين أمه؛ أمه أجنيس.

وأخيرًا عرف اسمها.



تشارلز ديكنز

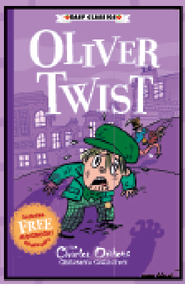
ولد تشارلز ديكنز في بورتسموث عام 1812، ومثل العديد من الشخصيات التي كتب عنها، كانت عائلته فقيرة وكانت طفولته صعبة، وعندما أصبح بالغًا، أصبح معروفًا في جميع أنحاء العالم بسبب كتبه، ويُذكر بوصفه واحدًا من أهم الكُتاب في عصره.



لتحميل أنشطة تشارلز ديكنز، يرجى زيارة

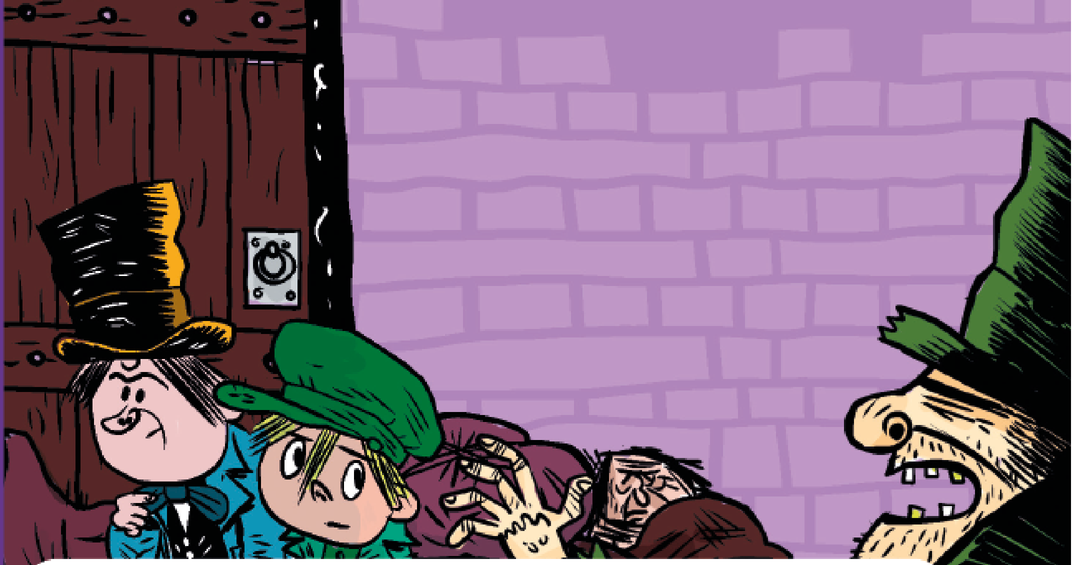
www.sweetcherrypublishing.com/resources

الغلاف الخلفي



أوليفــر تويســت وَلَد فقير، هكــذا كان، وهكذا ســوف يظــل. فعندمــا ينشــأ طفل فــي ملجأ، فالأرجح أن يتلقى هذا الطفل معاملة قاســية. لم يكــن أوليفر يريد حيــاة يقضيها في العمل الشــاق وتنــاول الفتــات مــن الطعــام، لكنــه ســرعان مــا تعلــم أن طلبــه للمزيــد لــن يعود عليه أبدًا بالخير.

ما يحتاج إليــه أوليفر بحــق هو حياة أســرية. لكــن هــل تعــد الأســرة المكونة من اللصــوص والخاطفين والقتلة أسرة بأية حال؟



لشراء النسخة الإلكترونية
القارئ جرير
JARIR READER

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore

Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Adapted by: Philip Gooden
Licensor Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

ISBN 628-1072-14-433-3
6 281072 144333
282208956